لقاء مع

نجيب محفوظ

بقلم احمد محمد عطيه

تحدث الي نجيب محفوظ في مكتبه الانيق المطل على النيل العظيم حيث دارت احداث روايته « ثرثرة فوق النيل » تحدث الي ببساطة المعهودة التي تراها واضحة في كل ما حوله ، المكتب البسيط والزي البسيط (بلا كرافت) والضحكة المنطلقة ، فكان هذا الحوار :

★ نقلت السينما اعمالك الادبية الى جمهور اوسع . غير انها نقلتها في بعض الاحيان محرفة وحملتها الى الجماهير بمعان بعيدة عن محتواها الحقيقي . وأعرف انك تدافع دائما بأن العمل السينمائي غير العمل الادبي وان هذه هي رؤية رجال السينما . ولكن الا يعتبر صمتك مسؤولا ازاء تحريف السينما لبعض رواياتك ؟ وهذا يجرنا الى التساؤل : لماذا لا تقوم بعمل السيناريو الخاص بأفلامك خاصة وانك تمارس كتابة السيناريو بالفعل لاعمال الآخرين ؟

ـ في حدود تجربتي اقتنعت بأن تدخل المؤلف في عمله عندما يتحول الى أداة تعبيرية أخرى يهدده في كثير من الاحيان . وانا اعتبر ان العمل الادبي بالنسبة للفنان الجديد الذي يتلقاه ، وهو السينما في حديثنا ، عبارة عن مادة قابلة للفهم والتأويل بحسب رؤية هذا الفنان . حتى ان القصة الواحدة احيانا يخرج منها اكثر من فيلم . كل فيلم يحمل رؤياه الخاصة . من تجربتي ايضا انني اجد نفسي شاعرا تماما بالبواعث الواعية لعمل الفن ، ولكن القاريء كثيرا ما يكتشف امورا لم تخطر على بالي الواعي ولكني اقتنع بصدقها .

وعن كتابة السيناريو للغير فهذه حقيقة . أما بالنسبة لي فمن أشق الامور كتابة سيناريو لعملي لانه معالجة جديدة بعد ان اعطيت كل ما عندي ، واذا التزمت في الرواية بمعالجة ما فالخوف ان افرضها على السيناريو دون ان تكون أنسب الاشكال الفنية له .

★ بدأت الدعوة الصهيونية برواية « ثيودور هرتزل » « الارض الجديدة القديمة » وفاز بجائزة نوبل روائي اسرائيلي هو « صامويل عجنون » لان كتاباته « تمثل رسالة اسرائيل الى عصرنا ، وتكافح كفاحا رائعا من أجل تقديم التراث الثقافي للشعب اليهودي عن طريق الكلمة». وهذا يدلنا على الدور الخطير الذي قامت به الرواية الصهيونية نحو قضيتها العدوانية . الا ترى أنك مسؤول كروائي قامت رواياته بمسح اجتماعي وسياسي لحياتنا ، عن عدم انعكاس قضية الصراع العربي الاسرائيلي في رواياتك ، مع انها قضية خطيرة ماسة بوجود الانسان العربي في كل مكان ؟

ـ الحقيقة ان دخول الكاتب العربي على المسألة الصهيونية ممكن ان يكون من اكثر من باب . يوجد باب مباشر، والحقيقة ان هذا لا يتاتى الا لكاتب خاض التجربةاو اكتوى بنارها عن قرب مثال غسان كنفاني . لكن الصراع بيننا وبين اسرائيل ليس مسالة احتلال أراض او حرب او لاجئين فحسب فهو صراع حضاري مصيري ، وفي هذا المنطلق فكل ما يكتب عن ايجابيات او سلبيات العالم العربي يدخل في القضية من الباب الآخر وهو الباب غير المباشر . فعندما تهاجم أي سلبية فانت تعد العربي للحياة والصراع ضد العدو . وانا ألجأ الى معالجة القضية على مستوى تجريدي كما فعلت في « تحت المظلة » . أما المعالجة الواقعية فهي صعبة لاننا لا نعرف الواقع معرفة تامة .

★ أعلم انك كتبت رواية ريفية باسم « احلام القرية » في بدء حياتك الادبية ولم تنشر . فما مصير هذه الرواية ، ولماذا نفتقد الريف والفلاح المصري في كتاباتك مع ما يحتلانه من مكانة كبرى في الحياة المصرية ؟

ـ « أحلام القرية » . كنت في اجازة ، وخطر لي ان أكتب رواية ريفية فكتبتها وانا لم أزر الريف في حياتي ، ولذا اخذت الرواية مصيرها الوحيد . وهذا ينطبق على السؤال الماضي فيجب ان يكون لدى الروائي معرفة كاملة بالواقع الذي يكتب عنه .

★ هل تعتقد ان الرواية العربية قدمت شكلا جديدا على الصعيد العالمي أم أنها ما زالت في ذيل التجديدات في الرواية العالمية ؟

ـ لا أعتقد أنها قدمت شكلا جديدا . والواقع ان الشكل الجديد لا يأتي اعتباطا وانما هو ملتحم بالموضوع والمضمون التحاما حتميا . ونحن بدأنا الرواية وهي تكاد في رأي البعض على الاقل تستهلك اغراضها في اوربا وتنتهي . وعندما مررنا برؤية رومانسية وجدنا في الشكل الرومانسي ما يكفل التعبير المنشود ، وكذلك عندما انتقلنا الى رؤيا واقعية نقدية او واقعية اشتراكية او ما بعد ذلك ، بل توجد

أشكال للرواية الحديثة في أوربا تعبر عن رؤيا حضارية جديدة لم نصل اليها ولن نصل اليها في القريب العاجل وقد لا نصل اليها أبدا . وأصالة الفنان العربي تتضح في اختياره الشكل المناسب لا الشكل المثير وتحويره بما يتفق مع موضوعه المحلي .

* هنالك رأي هام للمفكر الامريكي هربرت ماركوس في الفن والسياسة هو : « ان الفن في أعمق مستوياته احتجاج على ما هو كائن. ومن هنا بالذات يصبح الفن قضية سياسية » . ما قولك في هذه القضية خاصة وانك في رأيي كاتب سياسي بالدرجة الاولى ، وانك انتقلت من الحياد التقليدي ازاء الصراع السياسي في رواياتك الى اتخاذ موقف من هذا الصراع في روايتك الاخيرة « ميرامار » ؟

ـ أنا أؤمن بهذا القول ، ولعلي رددته من قبل ما أسمعه منك نقلا عن ماركوس لان الفن نقد للمجتمع وللحياة ، وأنا أعتقد انه لو بلغت الحياة الكمال لما كان للفن من معنى او وجود .

* هل تؤيد فكر زوال التراجيديا في الحب في ظل الاشتراكية لانه ليس هناك تناحر طبقي او نعال أسري يحول بين المحبين وبعضهم ، الامر الذي يترتب عليه انعدام الصراع ، وعدم امكانية تكرار « روميو وجولييت » في المجتمع الاشتراكي ؟

ـ لا شك ان المحبين في مجتمع اشتراكي أسعد حظا وأقرب الى التفاهم والالتقاء من المحبين في المجتمعات الطبقية او الرأسمالية . ولكن قد توجد متناقضات أو أسباب للتعاسة غير الاسباب الاجتماعية . وان تعاسات الحب في الرأسمالية يزول ٩٥٪ منها في ظل الاشتراكية.

* ما رأيك في قضية السرقة الادبية ، وفي الادعاءات الاخيرة عن « ميرامار » و « الطريق » وصلتهما برواية طاغور « البيت والعالم » وقصة مورافيا « أمطار مايو » ، وفيما أدلى به توفيق الحكيم من ان الدفاع عنك كالهجوم عليك بلا أساس لانه قبل شكل الاتهام ؟

ـ بصراحة أنا لم اقرأ رواية طاغور حتى اليوم . والمسألة في نظري ليست مسألة انهام ودفاع ، وانما هي قضية ادبية اولا يجب ان تفهم وتعالج على مستوى الادب والتخصص فمثلا : (١) التشابه بين الاعمال الفنية موجود وقد يرجع الى تماثل الظروف الاجتماعية او توارد الخواطر او .. او .. والمسألة كيف نميز بين الاصيل وغير الاصيل في الاعمال المتشابهة . الجواب نجده عند النقد الواعي ، فهو الذي يدرس العمل في ذاته ويقرر أصالته او عدمها على اسس موضوعية ثابتة ، بحيث يستطيع أن يحكم بأصالة عمل ولو شابه عشرات الاعمال او عدم اصالة عمل ولو لم يجد ما يشابهه . (٢) اننا نتهم الادباء للتشابه في الموضوع ، فما قيمة الموضوع في الفن . الذي يدلك على ان الموضوع ليس من الفن وانما الفن يبدأ بعد اختيار الموضوع ان الموضوع عادة يكون مقتبسا من التاريخ مثلا او من الواقع او من الادب نفسه . الا ترى ان مسرحية كأوديب يعاد معالجتها على مر العصور وبين عشرات الكتاب ؟ بل يوجد ما هو اكثر من ذلك ان الفن الحديث بصفة عامة يتجه الى الغاء الموضوع الغاء تاما . القصة الحديثة قصة بلا حدوتة. كالصورة التشكيلية . ولذلك فاتهام أديب بتشابه موضوع حتى على فرض وجود هذا التشابه امر من السذاجة بمكان ويدل بالاسف الشديد على تخلف ثقافي هائل . تصور ان واحدا يتهمك بأنك أخذت فكرة خيانة زوجية او مؤامرة من كاتب مع انها موجودة في أي صفحة حوادث كل يوم . والواقع ان مثل هذه الاحداث لم يخلقها مورافيا او كين وانما خلقها الواقع . وخطورة هذه الاتهامات هو ما فيها من جهل صريح بفهم عملية الابداع الفني . ومن أخذ الفكرة من الآخر البرتو مورافيا أم كين ؟ ومن هو مخترع الخيانة الزوجية ؟ ولي رأي قلته من حوالي سنة وكانت المناسبة انهم اتهموا شابا بأنه سرق مني قصة فقلت ضمن حديث طويل انه لا جديد في العمل الفني الا صاحبه . الفنان كالطباخ يؤلف بين اشياء موجودة فعلا ولا يخلقها . وهذه الاتهامات تمثل تهديدا حقيقيا للفهم بالنسبة لعامة القراء . وقد شعر توفيق الحكيم بكل ما ذكرته وادركه تماما وهو مشفق من معالجة الموضوع بهذه الصورة لان في معالجته اتهاما ضمنا بعدم فهمه وهو من البديهيات في العالم كله .

* في كتابه « بصراحة غير مطلقة » كتب يوسف ادريس على لسانك كلاما خطيرا عن النقد والنقاد مؤداه ان كبار النقاد قد انصرفوا عن مزاولة النقد وتركوا المجال لبعض الصبية . وهذا الكلام موجه بطبيعة الحال الى النقاد الشبان الذين اعتقد انهم وجهوا اهتماماتهم الجادة لدراسة ادبك ، حتى اسفرت عن صدور كتابين لفالي شكري ونبيل راغب . وثلاثة كتب أخرى في الطريق لابراهيم فتحي وصبري حافظ واحمد محمد عطية ، وذلك بالاضافة الى عشرات الدراسات . فما رأيك ؟

ـ الحقيقة ان كبار النقاد انصرفوا عن النقد ، هذه حقيقة واقعة ليست موضوع مناقشة ، وقد تكون لهم اعذارهم . اما انهم تركوا المجال للصبية فهذا تعبير غريب لم يجر على لساني بطبيعة الحال . فان النشاط النقدي الآن يتركز في هذا الجيل الجديد من النقاد . واعتقد ان رسالتهم الاولى هي تقديم الرؤيا الجديدة للادب العربي المعاصر ، فهم اقدر الناس على فهمها وتقديمها . والحقيقة ان نشاطهم المتواصل من نقاط التفاؤل في الحياة الادبية الراهنة .

* بماذا تفسر النهايات المفجعة لابطال رواياتك ، ابتداء من عباس الحلو الى سرحان البحيري ؟

ـ أرجو أن تلاحظ ان النهايات السيئة نوعان : النهاية السيئة لامثال عباس الحلو ، وهذه تتضمن اتهاما صريحا للمجتمع لان النهاية هنا أصابت شخصا خيرا او نبيلا بخلاف النهايات التي تصيب مثل سرحان البحيري .

* ارجو ان تعرفنا بمهمة مؤتمر الادباء الشبان باعتبارك أمينا عاما للمؤتمر ، ومن هو الاديب الشاب ، وبم تفسر استغراق الكتاب الشبان في كتابة القصة القصيرة دون الرواية وسائر الاعمال الادبية الاخرى ؟

ـ أولا عن المؤتمر هدفه دراسة ميدانية لمشاكل الادب في محاولة جادة لمعالجتها وتوجيه النشاط الادبي من خلال توصيات عادلة نحو النمو والازدهار . واتفق على ان الاديب الشاب هو الذي ينتج أدبا ويكون سنه في حدود (٣٥) سنة . والاشكال الادبية مواهب ولعل اللحظة الحاضرة من حياتنا تناسبها القصة القصيرة اكثر من غيرها من الاشكال، ولكن لا يعني هذا ان الرواية لا تكتب بوفرة ايضا في حدودها النسبية. مثال ذلك الاسماء التي ذكرتها انت في مقالك الاخير عن رواية شوقي عبد الحكيم « دم ابن يعقوب » وارجو ان تذكرها .

(الاسماء هي « الشمندورة » لخليل قاسم ، « تلك الرائحة » « لصنع الله ابراهيم ، « العودة الى المنفى » لابو المعاطي ابو النجا ، « الحب والصمت » لعنايات الزيات ، « أحزان نوح » لشوقي عبد الحكيم ، « حكاية كل يوم » لزينب صادق ، « مائة ساعة في القمة » لمصطفى فوده ، و « المصيدة » لفاروق حسان السيد ، و « عودة الظلال » لعبد الغني سلامة و « المنصورة » لمحمد مصطفى هدارة ، « صراع في الاعماق » لعلية هاشم ، « المرآة والمصباح » لنعيم عطية . وذلك بالاضافة الى روايات محمد جلال وحامد الجمل المتعددة . و « دم ابن يعقوب » لشوقي عبد الحكيم ، « الجرار رقم ٣٥ » لفتحي سلامة ، « البلد » لعباس أحمد ، « الحداد » لمحمد يوسف القعيد ، و « أيام الانسان السبعة » لعبد الحكيم قاسم و « الشفق » لسمير ندا .)

* يعد فوز صمويل بيكيت بجائزة نوبل تكريما للعبث . فما رأيك ، وهل هناك تجارب عبثية أخرى لك في الطريق ؟

ـ أنا ليست لي تجارب عبثية اطلاقا اما « ثرثرة فوق النيل » فهي موجهة ضد العبث ، وأنا لست كاتبا عبثيا اطلاقا ، وانما أنا كاتب ملتزم بقضايا معينة كانت وما زالت تلح عليّ ، وقد بدأت بها وسأنتهي

بها ، تجدها في « كفاح طيبة » كما في «ميرامار » . الكاتب العبقري لا يؤمن بقيمة ولا حقيقة ، ويكفي ان يسمي أدب اللامعنى لشيء . والحقيقة انا دهشت ان بيكيت نال الجائزة فرؤيته التشاؤمية لا تستحق الجائزة وربما نالها لعبقريته . ولكن يبدو ان هناك مرونة في جائزة نوبل الا اذا اعتبروا كل اعماله مرثيات لفقدان القيم . والا ما معنى فوز تشرشل بجائزة نوبل للادب وعدم فوز مالرو بها ؟

✱ ما رأيك في نقادك ، وفي التفسيرين الميتافيزيقي والثوري لاعمالك ؟

ـ هذا سؤال صعب ويحتاج الى وقت طويل . يندر ان تجد مثلي من قال فيه النقاد خير ما يمكن ان يقال وأسوأ ما يمكن ان يقال . وفي الحالين يدل على اهتمامهم بنا فشكراً لهم . وقد قوبلت بصمت ثم هجوم لمدة ثلاث سنوات ثم مدح وتأييد . والغريب ان الذين هاجموني في السنوات الثلاث هم الذين مدحوني بعد ذلك .

✱ وفي أعمال الروائيين الجدد مثل : الطيب صالح وغسان كنفاني وشوقي عبد الحكيم وصنع الله ابراهيم وأبو المعاطي أبو النجا وعبد الحكيم قاسم ويوسف القعيد وسمير ندا .. وغيرهم ؟

ـ بكل امانة اني معجب شديد الاعجاب بالمجهود الروائي الجديد لهؤلاء الشبان . أنا معجب بهؤلاء جميعا ، وخصوصا الطيب صالح فهو متفوق على الادباء الانجليز المعاصرين له .

✱ بم تفسر انفماسك فى كتابة القصيدة وتوقفك عن كتابة الرواية منذ ثلاث سنوات تقريبا عندما نشرت « ميرامار » ، وما هي اعمالك الجديدة ومشروعاتك ؟

ـ ان القصة القصيرة انسب للحظتنا الحاضرة . واحب ان اقول اني كففت عن كتابة الرواية منذ الثلاثية لان كل ما كتبته كأولاد حارتنا ذات منهج ملحمي ، وما جاء بعدها يعتبر من نوع القصة القصيرة الطويلة . فانا لم أكتب رواية بعد الثلاثية . وقد كتبت اخيراً مجموعة من قصص المقاومة ، وارجو ان تنشر قريبا في كتاب .

✱ لماذا اتجهت اخيرا الى كتابة المسرحيات القصيرة ، وهل هو تحول الى المسرح مماثل لتحول كثير من كتاب القصة المصريين الى المسرح ؟

ـ الواقع ان المسألة تطورت . ان قصصي بدأ يغلب عليها الحوار ، ومن ثم بدأ التحول للمسرحية وربما لان هذه الفترة هي فترة مناقضات وانسب شيء لها الحوار . وأعده تحولا الى المسرح مع الاحتفاظ بالكتابة القصصية . وقصصي الجديدة كلها في شكل حوار مسرحي . وحجمها اكبر من القصة القصيرة . (اطلعني على قصته الجديدة « نافذة فى الدور الخامس والثلاثين » وهي في ٢٩ صفحة حجم فولسكاب) .

✱ تقوم اسرائيل بترجمة الاعمال الادبية والفكرية المصرية الى اللغة العبرية كيوميات نائب في الارياف وتاريخ الجبرتي لمعرفة الحياة المصرية . فما الهدف من هذه الترجمات . وما هو الدور المقابل الذي يجب ان نقوم به في بلادنا ؟

ـ هم يريدون بترجمة ادبنا فهمنا من الداخل . ويجب ان نترجم ادبهم بالمثل لنفهمهم من نوع اعرف عدوك .

✱ ما رأيك في قصيدة نزار قباني « هوامش على دفتر النكسة وفي التحول الذي طرأ عليه بعد النكسة ؟

ـ هو تحول خطير ، لكن التقزز من النفس لا يكفي . والاقتصار عليه اخلال بالرؤيا المتكاملة . وانما يغفر للاستاذ نزار انه كتبها في اعقاب النكسة مباشرة .

✱ صرح د . طه حسين في حديثه الاخير للتليفزيون بانه لايتابع كتابات الادباء الشبان وان الادباء الشبان لا يعترفون به . ما رأيك في هذا الموضوع وفي قضية الادباء الشبان عموما ؟

ـ كون طه حسين لا يقرأ للادباء الشبان لا يدل بحال على تجاهل لهم او احتقار لشأنهم ، انما قد يرى الانسان في وقت من الاوقات انه من الافضل ان يعيد قراءة كتابات قديمة على ان يقرأ كتابات جديدة . وهذه هي سنة الحياة . واما عن اعتراف الشبان بطه حسين، فطه او اي اديب من جيله يمثل حقيقتين : حقيقة ادبية تاريخية لا يمكن تجاهلها من اي جيل من الاجيال ولا يحول بين المرء وبين الاعتراف به على هذا الاساس الا الجهل او التعصب الاعمى ، لكن الاديب ايضا قد يمثل المنهج الذي يتخذ منه الناشيء مثالا او يعتبر نفسه له امتدادا حتى ولو كان امتدادا متطوراً . في هذه الحالة يجوز جدا الا يعترف الشبان برجل عظيم كطه حسين من غير ان يكون ذلك شهادة ضده او ضدهم . اما قضية الادباء الشبان كادباء شبان فتتلخص في رأيي في الاتي : مساعدتهم على تحصيل الثقافة بكافة انواعها حيث يكونون . اكتشاف المواهب منهم والعمل على ان تأخذ طريقها المشروع الى الظهور والنجاح . تقرير نصيب لهم أو للجيد من انتاجهم في جميع المؤسسات الفنية التي تتبع الدولة . وانا في ذهني اقتراحان : (١) ان تنشأ ادارة في وزارة الثقافة تسمى ادارة المواهب تتلقى الانتاج الشاب وما تقره منه تعمل على نشره واذاعته في مختلف مؤسساتها او في جميع الاجهزة الاخرى بوزارة الارشاد . (٢) المطلوب من لجنة الفكر في الاتحاد الاشتراكي الاتفاق مع الصحف والمجلات التي تتبعها بتخصيص صفحة اسبوعية على الاقل لانتاج الشباب . اما ان اردت بالقضية النواحي الفنية فلا يصح ان نطلق عليها قضية الشباب لان الامر مرجعه الى المناهج والاساليب وهذه قد تجمع شبانا وشيوخا وليس العمر بالفيصل فيها .

✱ هل تقرأ للروائيين المصريين ، وما رأيك في أعمال يوسف ادريس وعبدالرحمن الشرقاوي ويوسف السباعي وعبدالحليم عبدالله واحسان عبدالقدوس ؟

ـ انا احبهم حقيقة جميعا ، ولكل منهم ناحية تسرني. وانا بدأت لا اصرح بهذا الاعجاب حتى لا أتهم بالمجاملة .

✱ ماذا تقرأ الان ،وهل تتبع خطة محددة في القراءة وكيف تنظم وقتك بين العمل والقراءة والكتابة والمشاركة في الحياة الاجتماعية ؟

ـ في النصف الاول من النهار في وظيفتي . من ٦ ـ ٩ على مكتبي بين القراءة والكتابة ومن ١٠ لنهاية السهرة امام التليفزيون. واقرأ الان كتب الدكتور فؤاد زكريا في فلسفة الفن .

✱ في حديث سابق ذكرت انك كمال عبدالجواد في الثلاثية فاين انت في رواياتك التالية للثلاثية ؟

ـ انا لم ادخل في الثلاثية الا بربع شخصية وقد ندمت على ذلك ولن افعلها ثانية لان هذه افظع « بعزقة » يعملها مؤلف . وقدندمت على ذلك تماما .

✱ لماذا تستأثر الموسس بمكانة كبرى في كتاباتك ؟

ـ الموسس تنفع الناقد الاجتماعي جدا لانك تواجه بها شخصيات بارزة ظاهرها الفخامة وباطنها الدعارة ، بينما هذه ظاهرها الدعارة وباطنها يمكن ان يكون البؤس ولذا فهي مثال صالح للنقد القاسي .

✱ هل تتأثر معاصريك في قراءتك لهم ؟

ـ طبعا فلا اعتقد انني قرأت لكاتب في الشرق او الغرب ثم لم أتأثر به لان القراءةكالتغذية وكما يظهر اثر التغذية الحسنة في السلوك والتفكير وكذلك نحن نعكس ما نقرأه لكتابنا المفضلين في ما نكتب . وانا اعتقد ان الفن شجرة كبيرة نامية وكلنا نأخذ من اوراق هذه الشجرة .

القاهرة — **أحمد محمد عطيه**